

في نور محمّد فاطمة الزهراء

اللوحة الرابعة منعٌ أم امتناع طابق الخبر حديث أُم المؤمنين، عندما قالت: ما ترك رسول الله شيئاً، ولا أوصى بشيء، فقولها الحقّ الذي ليس بعده قول قائل، ولا رؤية راء، ولا سمع سميع. فلقد نفت وجود تركة للنبي، حتّى موقت رحيله، نفي شاهد عيان، ورفيق عِشْرة حضر لحظة الوفاة، وسمع منه عليه الصلاة والسلام آخر ما نطقت به شفتاه. لمحته في ذلك اليوم القائط [1550] الحزين من سيف شبه الجزيرة، يميل على الزهراء وهي بجواره، فيسرّ لها كلمات، فتندحر على وجنتيها الدموع ... ثم يسرّ لها أخريات، فينكشف الكرب، وتتبدّى باسمه طلبة الأسارير. وشهدته بعد هذا وقد جيء له بإناء فيه ماء بارد، راح يغمس يده فيه، ويمسح بها على محيّاها، وسمعته وقد شقّ عليه النزاع، يضرع إلى ربّه ويدعوه: «اللّهم أعزّي على سكرات الموت» [1551]. فتحسّ به يثقل في حجرها، ويروّعها الموقف، ويأخذها هوله، فلا تملك إلاّ أن تجمّد عينها عليه، وقلبه يكاد يكفّ عن الخفوق.